

من ملفات الحرب اللبنانية

قصة باخرة الأكواamarينا

نبيل يوسف

قبل ظهر الخميس ٦ تشرين الثاني ١٩٧٥ أدى رئيس الحكومة رشيد كرامي بتصريح أعلن فيه أنه تبلغ أن باخرة ترسو قبالة مجمع الأكواamarينا في المعاملتين الذي يملكه الشيخ بطرس الخوري تحمل شحنة أسلحة إلى الأحزاب المسيحية، وأنه أوعز إلى قائد الجيش لإصدار أمر بوضع اليد عليها ومصادرتها حمولتها.

ما أن بدأت وسائل الاعلام نشر تصريح رئيس الحكومة حتى قامت القيادة من القيادات الاسلامية واليسارية تطالب بحجز الباخرة وتقديم المسؤولين عنها إلى المحاكمة.

فما هي قصة تلك الباخرة؟

على أثر الضغوط العربية التي تعرض لها رئيس الجمهورية سليمان فرنجية لوقف القتال ضد الفلسطينيين الذي اندلع في ٢ أيار ١٩٧٣ والتي حالت دون تمكن الجيش اللبناني من السيطرة على المخيمات الفلسطينية، استسلم رئيس البلاد لقدر جديد، هو ضرورة إيجاد جيش آخر غير الجيش اللبناني قادر على حماية الشرعية والأهالي الآمنين.

أواخر حزيران من ذلك العام استدعي رئيس الجمهورية إلى قصر بعبدا الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل وعقروا اجتماعاً مطولاً استعرضوا خلاله التقارير التي وصلتهم عن حجم الفوضى التي تعم البلاد من جراء تجاوزات الفدائيين الفلسطينيين الذين أحکموا سيطرتهم العسكرية شبه الكاملة على معظم قرى وبلدات الجنوب والبقاع، إضافة إلى أحياء واسعة من بيروت لا سيما معظم مداخل العاصمة. وعن وضع القرى والبلدات المسيحية في أطراف الوطن والأخطار التي قد تتعرض لها من قبل المسلحين الفلسطينيين.

في نهاية الاجتماع خلص المجتمعون إلى النتيجة التالية: لا حل سياسياً متاحاً مع المقاومة الفلسطينية، ولاأمل في الاتكال على سوريا للجم المنظمات الفلسطينية بعدما اتخذت دمشق موقع الانحياز لصالح الفلسطينيين، وكذلك هي الحال مع الدول العربية، ولا يمكن الاتكال على الجيش اللبناني بعد اليوم، فالوضع أصبح سيئاً جداً ولا مفرّ من التسلح وتدريب الشباب المسيحي للدفاع عن أرضهم.

بعد أيام عقد اجتماع آخر شارك فيه الرئيس فرنجية وزعيمه حزبي الكتائب والاحرار، واستدعي إليه قائد الجيش العماد اسكندر غانم ومدعى عام التمييز القاضي ميشال طعمة ومدير عام الأمن العام العقيد انطوان الدحداح ورئيس الشعبة الثانية في الجيش اللبناني العقيد جول البستاني ورئيس قسم الأمن القومي في الشعبة الثانية الرائد نبيه الهربر.

في بداية الاجتماع أبلغ رئيس الجمهورية المشاركون بقرار التسلح والتدريب الذي اتخذه مع الزعيمان المسيحيان، طالباً مناقشة السبيل الأسلم لإنجاح هذا القرار.

في خلاصة النقاش الذي استمر لساعات تقرر أن تقوم الشعبة الثانية في الجيش اللبناني بتسليم مسؤولي الكتائب والاحرار الأسلحة التي يحتاجون إليها، إضافة إلى إرسال بعض الضباط المسيحيين إلى معسكرات التدريب التي كان بدأ الحزبان وبعض الجماعات المسيحية الأخرى إقامتها في جنود المناطق المسيحية، لمساعدة الضباط والرتباء المتقاعدين الذين كانوا باشروا التدريب فيها

بعد انتهاء الاجتماع تسرّعت وتيرة التدريب والتسلح، وشهد صيف العام ١٩٧٣ إنشاء أكثر من ١٥ مخيماً للتدريب، من بينها ١٠ مخيمات لقوى النظامية الكتائبية، و٣ مخيمات لنمور حزب الوطنيين الأحرار، ومخيم للتنظيم اللبناني

الذى أشرف عليه مباشرة بعض ضباط الشعبة الثانية، ومخيم لجيش التحرير الزغرتاوي الذى كان يقوده النائب طوني سليمان فرنجية.

هذا النشاط التدريبي الذى شارك فيه المئات من الشبان المسيحيين، لم يبق طي الكتمان، فبدأت بعض الصحف تتحدث عنه، فقامت ضجة حمل لوائها الزعيم الاشتراكي كمال جنبلاط وبعض القوى اليسارية والاسلامية متهمين حزبي الكتائب والاحرار بمحاولة تخريب البلد، فما كان من الشيخ بيار الجميل إلا أن اعترف في ١٠ أيلول ١٩٧٣ بوجود مخيمات لتدريب الشباب للدفاع عن أرضهم وعرضهم، معناً استعداد حزب الكتائب لإلغاء جميع مخيمات التدريب خلال مهلة ٢٤ ساعة ومنع أي كتائبي من الظهور بلباس عسكري شرط لا يبقى في لبنان ١٤ مخيماً معسراً فلسطينياً خارجين عن سلطة الدولة وقوانين البلد، فإذا استطاعت الدولة اللبنانية أن تستعيد سلطتها على المخيمات الفلسطينية التي أصبحت معسكرات وأن يعود الفلسطيني خاضعاً للقانون اللبناني مثل أي مواطن لبناني، "فوقتها سنغى مخيمات التدريب، وليس من الجائز أن يطبق على اللبناني ما لا يطبق على الفلسطيني".

رافق النشاط التدريبي المكثف، نشاط تسليحي اقتصر صيف ١٩٧٣ على بنادق خفيفة وبعض الاسلحة المتوسطة القديمة بمعظمها، ولم تكن تلك الأسلحة تقى الغرض من التدريب، خاصة في ظل الكم الهائل من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والتقليلة التي تمتلكها المنظمات الفلسطينية، فتكثفت الاتصالات لمحاولة الحصول على السلاح المطلوب.

مطلع عام ١٩٧٤ ومن خلال مفاوضات كان أجراها رئيس الشعبة الثانية في الجيش اللبناني العقيد جول البستاني مع الملحق العسكري في السفارة الاميركية في بيروت الكولونيل فورست هانت، وصلت أولى شحنات الأسلحة إلى مطار بيروت بطريق سرية على متن ٥ طائرات نقل من طراز C ١٣٠ "" وشملت عشرة آلاف قطعة سلاح خفيف من طراز كرابين وستين وسلامفيا، إضافة إلى عشرات المدافع والهاوبين من العيارات الصغيرة.

فور وصول تلك الشحنات استلمها بعض ضباط الشعبة الثانية الأمينين ونقلوها بطريق سرية إلى بعض الأديرة في جبل لبنان التي كانت الرهبة المارونية وضعتها في تصرف الأحزاب المسيحية، كان أبرزها دير مار روكز مراح المير الواقع على طريق بكفيا - القليعات ودير مار موسى الدوار ودير مار أنطونيوس الجديدة، وأديرة أخرى في كسروان وجبيل والبترون خاصة دير غسطا ودير سيدة طاميش ودير حوب.

من تلك الأديرة بوشر توزيع السلاح على الأحزاب المسيحية فاستلم حزب الكتائب الكمية الأكبر، كما تسلم نمور الأحرار كمية مهمة، وزارت كميات أخرى على التنظيم وجيش التحرير الزغرتاوي وبعض القيادات المحلية، وأرسلت كميات أخرى إلى بعض القرى المسيحية التي كانت مهددة من قبل المنظمات الفلسطينية مثل زحلة ودير الأحمر والقيبات والقاع وراس بعلبك وجزين والدامور والجية ورميش، ولم يقتصر التوزيع على القوى المسيحية بل شمل بعض القيادات الاسلامية المتعاونة مع الشرعية كالأمير مجيد ارسلان والنائب الدرزي بشير الأعور في المتن الأعلى، والنائب الشيعي السابق محسن سليم المقيم في الضاحية الجنوبية لبيروت والنائب سليمان العلي في عكار والنائب كاظم الخليل في صور، وبعض الزعماء السنة المحليين في بيروت الغربية المناهضين للمنظمات الفلسطينية، وبعض أنصار الرئيس كميل شمعون من الطائفة الاسلامية السنوية كآل سكريه في الفاكهة في البقاع الشمالي، وآل الصانى في طرابلس، وآل الحجار في اقليم الخروب.

في آذار من ذلك العام، وعن طريق تاجر أسلحة لبناني يدعى سركيس سوغونولييان، كانت لديه علاقات مع المخابرات المركزية الأمريكية سافر إلى بلغاريا أربعة مسؤولين عسكريين يمثلون حزبا الكتائب والأحرار بهدف المفاوضة على شحنة أسلحة جديدة، وبعد مفاوضات مع شركات السلاح البلгарية تقرر شراء ٧ آلاف رشاش كلاشنكوف وسلامفيا، وقاذفات أر بي جي ومدافع هاون من عيار ٨٢ ميليمتراً مع ذخائرها والعتاد الملحق بها.

بعد انتهاء المفاوضات، فتح ثريان مسيحيان هما الشيخ بطرس الخوري وناصيف جبور الاعتماد المالي لصالح سركيس سوغونولييان، الذي تكفل بإيصال الشحنة إلى بيروت.

من ثم باشر سوغونوليان اجراءات الشحن، ومن خلال مساعدة الكولونيل الاميركي فورست هانت تمكنت الباخرة التي تحمل السلاح من عبور مضيق الدردنيل التركي، وفي شهر حزيران رست في مرفأ بيروت، وأفرغت بطريقة سرية وبحمية بعض رجال الشعبة الثانية بعض حمولتها، وبسبب تعذر استمرار رسوها في مرفأ بيروت طويلاً واثارة الشكوك من حولها، انطلقت بعد أن خف حملها إلى مرفأ جونيه الأضمن، وأفرغت ما تبقى فيها.

وكما تم تفريغ السلاح من الباخرة بطريقة سرية، تكفلت شاحنات مموهة بنقله ليلاً إلى أديرة الرهبة المارونية، وكان على بعض المقاتلين المسيحيين حمل أعداد من صناديق الأسلحة والذخائر على ظهرهم وتوضيبها في الأقبية والمستودعات.

بعد وصول الشحنة باشر حزبا الكتائب والأحرار بيع البنادق إلى المقاتلين، وبلغ سعر رشاش الكلاشينكوف مع ألف طلقة ٦٧٥ ليرة لبنانية، وبن دقية سلافيا مع ألف طلقة ٦٥٠ ليرة، سدد الحزبيون الثمن تقسيطاً.

إضافة إلى سباق التسلح الذي حفل به العام ١٩٧٤ شهد صيف ذلك العام سجال عنيف كان محوره الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل من جهة والزعيم الاشتراكي كمال جنبلاط من جهة أخرى، وتمحور حول الاتهامات المتبدلة بالتسليح وإقامة مخيمات التدريب.

لم يقتصر هذا السجال على القادة السياسيين، بل شمل أيضاً الصحف اللبنانيّة، التي شهدت هجمات واتهامات متبدلة، كان أبرزها الهجوم الذي شنته صحفة السفير اليساري في ٩ آب ١٩٧٤ على حزبي الكتائب والأحرار والرهبة المارونية متهمة إياهم بتسلیح الشبان المسيحيين وتدریبهم لخراب البلد.

في اليوم التالي ردت صحفة العمل الكتائبية في افتتاحيتها "من حصاد الأيام" على كل الكلام الذي يقال حول التسلح، ودافعت عن وجود السلاح بأيدي الكتائب والأحرار الذي هو ظاهرة جديدة مردها إلى الخوف من تهديدات كثيرة، وبنوع خاص، من عجز الدولة وغيابها.

أما الشيخ بيار الجميل فرد على ما نشر في بعض الصحف حول وصول كميات من الأسلحة لحزبي الكتائب والأحرار، مؤكداً على مبدأ أن يكون السلاح في يد الشرعية وحدها، وأضاف أنه يقول "برافو" للذي يدخل سلاحاً إلى لبنان بعد أن تکاثر السلاح الآتي من الخارج في يد طرف واحد. فيما هاجم الرئيس شمعون بعنف اليسار اللبناني وزعيمه كمال جنبلاط متهمًا إياه بتحويل بلدته المختارة إلى مستودع كبير للسلاح.

من خلال الصفقتان الكبيرتان اللتان وصلتا عام ١٩٧٤، خاضت الأحزاب والقوى التابعة للجبهة اللبنانية الأشهر الأولى للحرب اللبنانية التي اندلعت في نيسان من العام ١٩٧٥.

مطلع حزيران ١٩٧٥ بدأت الذخائر تنضب، وأصبح هناك حاجة لأسلحة جديدة خاصة المتوسطة والتقيلة، وعن طريق بعض تجار الأسلحة بدأت تعقد الصفقات للحصول على السلاح من الدول الشرقية كال مجر وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا لرخص ثمنه ووفرته بلا رقيب، ولم تتأخر الرهبة المارونية والعديد من الأثرياء المسيحيين، الذين سارعوا لتمويل تلك الصفقات.

كما عمد بعض التجار والسماسرة لشراء كميات من الأسلحة من المخيمات الفلسطينية بأسعار باهظة قاموا بتسليمها إلى أحزاب الجبهة اللبنانية.

عبر مرفأ بيروت وجونيه، ومرفأ الأكمارينا الواقع إلى الشمال من جونيه، بدأت تصل شحنات الأسلحة، وكانت الباخر الكبيرة لا تستطيع الاقتراب من الشاطئ، وكانت تفرغ صناديق الأسلحة والذخائر في مراكب صغيرة تلقي الباخر ليلاً في عرض البحر وتنقلها إلى الشاطئ.

صيف ١٩٧٥ توسيع المعارك، وبدأت القرى والبلدات المسيحية الواقعة في الأطراف تتعرض جدياً للاعتداءات الفلسطينية، وكان السلاح المتوافر في تلك القرى بمعظمها سلاح خفيف مع بعض الاستثناءات من الأسلحة المتوسطة، لكن الفلسطينيين بدأوا باستعمال الأسلحة الثقيلة والمدفعية فراحـت الدفة تمـيل إليـهم بـقوـة.

في هذه الأحوال الضاغطة زار قصر بعيداً عدة نواب وزعماء مسيحيـين، خاصة أبناء مناطق الأطراف ناقلين إلى رئيس الجمهورية والرئيس كميل شمعون والشيخ بيـار الجميل المخاطر التي تهدـد القرى المسيحية، ومن بين الذين قدـدوا قصر بعيداً النواب: حبيبـ كـيرـوزـ وجـبرـانـ طـوقـ وجـبـشـيـ والنـائبـ السـابـقـ قـبـلـانـ عـيسـىـ الخـوريـ الـذـينـ نـقـلـواـ إـلـىـ الرـئـيسـ فـرنـجـيـةـ مـخـاـفـهـمـ ماـ قدـ تـتـعـرـضـ لـهـ منـطـقـةـ دـيرـ الأـحـمـرـ، وـاستـحـالـةـ صـمـودـ المـادـعـيـنـ عـنـهـاـ فـيـ ظـلـ هـذـاـ خـلـلـ الفـاضـحـ فـيـ نـوـعـيـةـ السـلاحـ، خـاصـةـ وـأـنـ طـرـيقـ عـيـنـاتـ -ـ الـأـرـزـ سـتـنـقـطـ بـعـدـ أـشـهـرـ قـلـيلـ بـسـبـبـ تـرـاكـمـ التـلـوجـ.

موقف الرئيس فرنجية لخصه أحد المشاركيـنـ فيـ تلكـ الـاجـتمـاعـاتـ بـأنـ قـالـ لهمـ أـنـ مـسـتـقـلـ لـبـنـانـ كـوـطـنـ دـولـةـ يـبـدوـ قـاتـماـ، وـهـنـاكـ مـؤـامـرـةـ تـحـاكـ ضـدـهـ وـالـشـرـكـاءـ فـيـهـاـ كـثـيـرـونـ، وـهـنـاكـ مـخـطـطـاتـ لإـذـالـلـ الـمـسـيـحـيـيـنـ وـتـرـكـيـعـهـمـ، وـلـبـنـانـ كـسـلـطـةـ دـولـةـ أـصـبـحـ عـاجـزاـ عـنـ مـواجهـهـ ماـ يـعـدـ لـهـ مـخـطـطـاتـ بـأـدـوـاتـ خـارـجـيـةـ وـداـخـلـيـةـ، وـلـاـ مجـالـ بـعـدـ الـيـوـمـ لـلـاتـكـالـ عـلـىـ الـجـيشـ فـلـاـ سـبـيلـ لـنـاـ سـوـىـ الـاعـتـمـادـ عـلـىـ أـنـفـسـنـاـ وـإـغـنـاءـ تـرـسـانـاتـنـاـ بـكـلـ سـلاحـ مـتـوفـرـ وـكـلـ عـتـادـ ضـرـورـيـ.

علىـ أـثـرـ تـلـكـ الـاجـتمـاعـاتـ، وـبـسـبـبـ الـوـضـعـ الـعـسـكـريـ الـضـاغـطـ تـشـكـلـتـ لـجـنةـ أـخـذـتـ عـلـىـ عـاـنـقـهـاـ تـأـمـيـنـ السـلاحـ خـاصـةـ الـمـتوـسـطـ وـالـتـقـيلـ مـنـهـ مـهـمـاـ كـانـ ثـمـنـهـ، وـضـمـتـ النـائـبـ جـبـرـانـ طـوقـ، وـطـانـيوـسـ سـابـاـ رـئـيسـ اـقـليمـ عـالـيـهـ الـكتـائـبـ مـمـثـلاـ حـزـبـ الـكتـائـبـ وـالـشـيخـ بـطـرسـ الـخـوريـ مـمـثـلاـ الرـئـيسـ سـلـيمـانـ فـرنـجـيـةـ وـالـسـيـدانـ جـورـجـ أـبـوـ عـضـلـ وـجـوـ عـرـيـضـةـ عـنـ حـزـبـ الـوطـنـيـنـ الـأـحـرـارـ وـصـاحـبـ بـنـكـ الـاعـتـمـادـ الشـعـبـيـ الشـيـخـ جـوـ كـيـرـوزـ شـقـيقـ النـائـبـ حـبـيبـ كـيـرـوزـ، وـرـاهـبـ لـبـنـانـيـ إـضـافـةـ إـلـىـ عـدـةـ مـتـمـولـيـنـ مـسـيـحـيـيـنـ تـكـفـلـواـ بـمـسـاعـدـةـ أـعـضـاءـ الـلـجـنةـ عـلـىـ تـغـطـيـةـ ثـمـنـ السـلاحـ، وـدـعـمـتـ الـرـهـبـنـةـ الـمـارـونـيـةـ هـذـهـ الـلـجـنةـ بـقـوـةـ.

باـشـرـ أـعـضـاءـ الـلـجـنةـ اـتـصـالـاتـهـمـ لـتـأـمـيـنـ السـلاحـ، لـكـنـ وـاجـهـتـ عـدـةـ عـقـبـاتـ أـبـرـزـهـاـ خـمـسـةـ:

- ١ـ ضـغـطـ الـوقـتـ، بـحـيثـ أـنـ جـمـيعـ الـجـبهـاتـ أـصـبـحـتـ بـحـاجـةـ مـاسـةـ إـلـىـ السـلاحـ وـفـيـ أـسـرـعـ وـقـتـ مـمـكـنـ.
- ٢ـ عـدـ اـمـكـانـيـةـ عـقـدـ صـفـقـاتـ مـهـمـةـ مـعـ تـجـارـ السـلاحـ الـذـينـ كـانـواـ يـزـوـدـونـ أـحـزـابـ اـجـبـهـةـ الـلـبـنـانـيـةـ بـالـسـلاحـ الـخـفـيفـ، بـسـبـبـ تـعـذرـ تـأـمـيـنـهـمـ لـسـلاحـ مـتوـسـطـ وـتـقـيلـ.
- ٣ـ ثـمـنـ الـأـسـلـحـةـ مـوـضـوعـ الـحـاجـةـ الـمـلـحةـ مـرـتـقـ جـداـ.
- ٤ـ شـرـاءـ السـلاحـ مـنـ الـخـارـجـ لـصـالـحـ جـمـاعـةـ وـلـيـسـ دـوـلـةـ وـلـيـسـ دـوـلـةـ صـعـبـ جـداـ.

٥ـ اـمـكـانـيـةـ بـيـصالـ شـحـنـاتـ الـأـسـلـحـةـ الـثـقـيلـةـ إـلـىـ الشـوـاطـيـهـ الـلـبـنـانـيـةـ مـحـفـوفـ بـالـمـخـاطـرـ، خـاصـةـ وـأـنـ الـبـحـرـ الـأـيـبـيـضـ الـمـتو~سـطـ أـصـبـحـ مـجـمـعاـ لـأـسـاطـيلـ قـوـىـ مـتـعـادـيـةـ، وـمـسـرـحـاـ لـلـقـرـصـنـةـ الـبـحـرـيـةـ.

لمـ بـيـأسـ أـعـضـاءـ الـلـجـنةـ، فـسـافـرـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ اـوـرـوـبـاـ فـيـ مـحاـوـلـةـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ أيـ سـلاحـ مـتـوفـرـ، وـبـعـدـ مـفـاـوضـاتـ شـافـةـ معـ عـدـةـ مـسـؤـولـيـنـ حـكـومـيـيـنـ أـوـرـوـبـيـيـنـ وـرـغـمـ شـرـحـ أـعـضـاءـ الـلـجـنةـ لـلـمـخـاطـرـ الـتـيـ يـتـعـرـضـ لـهـاـ لـبـنـانـ، وـاسـتـعـادـهـمـ لـدـفـعـ ثـمـنـ السـلاحـ مـهـمـاـ بـلـغـ لـمـ يـصـلـوـاـ إـلـىـ نـتـيـجـةـ. فـاقـترـحـ النـائـبـ جـبـرـانـ طـوقـ أـنـ يـتـوـجـهـوـاـ إـلـىـ بـعـضـ الـدـوـلـ الـأـفـرـيـقـيـةـ، حـيثـ الـمـفـاـوضـاتـ مـعـ حـكـومـاتـهـاـ قـدـ تـكـوـنـ أـسـهـلـ.

بـالـفـعلـ غـادـ النـائـبـ جـبـرـانـ طـوقـ إـلـىـ دـوـلـةـ غـانـاـ الـتـيـ لـهـ فـيـهـاـ عـلـاـقـاتـ قـدـيـمةـ مـعـ بـعـضـ قـيـاديـيـهـاـ بـسـبـبـ الـوـجـودـ الـقـدـيمـ لـعـائـلـتـهـ فـيـ تـلـكـ الـدـوـلـةـ.

بـعـدـ وـصـولـهـ إـلـىـ غـانـاـ باـشـرـ اـتـصـالـاتـهـ مـعـ قـيـادـاتـ تـلـكـ الـبـلـادـ الـأـفـرـيـقـيـةـ، خـاصـةـ الـقـيـادـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ الـذـينـ تـفـهـمـوـاـ الـمـطـالـبـ وـأـبـدـواـ اـسـتـعـادـهـمـ لـلـمـسـاعـدـةـ.

لم تمض أيام قليلة حتى أرسل النائب طوق بررقية لرفاقه من أعضاء اللجنة الذين بقوا في أوروبا يعلمهم فيها أنه استطاع الحصول على الموافقة لتأمين السلاح ولم يبق سوى التفاوض على ثمنه وتأمين باخرة لشحنها إلى لبنان، وسرعان ما وصلت البرقية إلى بيروت، ورد قادة الجبهة اللبنانية بوجوب الارسال قدر المستطاع لأن وضع الجبهات ما عاد يحتمل.

خلال أيام قليلة تم شراء كميات من الأسلحة المتوسطة والتقليلية مع كميات كبيرة من الذخائر فاقت بكثير ما كان يأمل أعضاء اللجنة بشرائه، ورغم دفعهم أموالاً طائلة ثمن الصفة وما رافقها من اكراميات فقد غمر قادة أحزاب الجبهة اللبنانية وأعضاء اللجنة شعور عارم بالفرح.

بعد تأمين السلاح أصبحت المشكلة تأمين الباخرة التي ستنقله إلى الشواطئ اللبنانية، وهنا بدأ بحث آخر فقد رفضت جميع شركات الشحن البحري شحن السلاح، إلى أن وافق صاحب إحدى بواخر الشحن على نقل الشحنة لقاء مبلغ كبير جداً، وبدأ تحمل الشحنة.

رغم السرية المطلقة التي رفقت شراء السلاح وتوصيه وتحميله، يبدو أن مخابرات إحدى دول أوروبا الشرقيه ويعتقد أنها رومانيا عرفت بأمر الشحنة، وأوصلت الخبر إلى منظمة التحرير الفلسطينية التي استطاع بعض مسؤوليها الاتصال بصاحب الباخرة مهددين بالقتل ونصف باخرته بمن فيها.

خاف صاحب الباخرة وعذّل عن رأيه ناقضاً الإنفاق السابق وبادر تفريغ الباخرة مدعياً أن ثمنها بالملايين، وأن على متتها ٣٠ بحاراً حياتهم مهددة بالخطر، ما دفع النائب طوق الذي كان لا يزال في غانا يتتابع تحمل الباخرة للتدخل مجدداً عارضاً على صاحب الباخرة والقطبان اكراميات كبيرة ومغرية، متعهداً بدفع ثمن الباخرة إذا تعرضت لأي سوء.

فيما المفاوضات بين النائب طوق المدعوم من ضباط غانبيين كبار من جهة وصاحب وقطبان الباخرة من جهة أخرى قائمة، راحت البرقيات التي مصدرها لبنان تصله من أوروبا تستجعل اتمام الصفة ووصول الأسلحة إلى لبنان، وكانت كل الأخبار الواردة سيئة جداً، فقد اجتاح الفلسطينيون بلدة بيت ملات في عكار، وارتکبوا مذبحة دير عشاش قرب طرابلس، وزغرنا تعرّضت لهجوم كبير استطاع المدافعون عنها صده، والبلدات المسيحية في عكار تتعرّض لاعتداءات متكررة من المقاتلين الفلسطينيين، والخطر يقترب أكثر فأكثر من بلدات دير الأحمر والقبيلات وزحلة والدامور والجية وجزين والفاع والقليعة ورميش، كما أن وضع الجبهات في العاصمة ليس بأفضل حال.

هذه الأخبار السيئة واللحاح الشديد من بيروت باستعمال وصول الأسلحة، رفعت وتيرة المفاوضات وبعدأخذ ورد طويلين ومفاوضات مضنية وافق صاحب الباخرة على الإبحار إلى بيروت لقاء مبلغ اعتبر وقتها خيالياً.

في سرعة قياسية تم تحمل الباخرة وانتقلت باتجاه مضيق جبل طارق للدخول إلى البحر الأبيض المتوسط، فيما ركب النائب جبران طوق الطائرة إلى فرنسا، ومنها عاد مع من كان في أوروبا من أعضاء اللجنة إلى بيروت متظرين اتصالاً من قبطان الباخرة يعلمهم باقترابه من السواحل اللبنانية.

مرّ نحو أسبوع ولم يتصل القبطان، فدبّ القلق في أعضاء اللجنة، ثم وصل خبر إلى البيت المركزي الكتائبي مصدره الشعبة الثانية في الجيش اللبناني يفيد أن جهاز التنصت في الجيش تمكّن من التقاط برقيات بين بعض المنظمات الفلسطينية تتحدث عن باخرة سلاح قادمة إلى الشواطئ اللبنانية وتطلب اغراقها، كما وصلت معلومات أخرى قد يكون مصدرها السفارة الفرنسية في بيروت تفيد أن البحرية الإسرائيلي تراقب الشواطئ اللبنانية مراقبة دقيقة وهناك تخوف من مصادر الباخرة كي لا تقع في أيدي المنظمات الفلسطينية.

هذا دبّ الرعب في قيادات الجبهة اللبنانية وأعضاء اللجنة، خاصة وأن أموالاً طائلة أنفقت على شراء السلاح وتأمين نقله إلى الشواطئ اللبنانية، ومجرد فقدان هذه الباخرة نهاية الصمود في لبنان، وكانت ساعات صعبة وعصيبة مفتوحة أمام كل الاحتمالات الكارثية: لقد كانت تلك الباخرة أشبه بحمامه في نادي صيد الحمام والصيادون يقطون، أما صاحبها فمغلول اليدين معصوب العينين.

أصبحت الساعات والدقائق تمر بطيئة جداً، ولا اتصال من قبطان الباخرة، إلى أن تلقى النائب جبران طوق فجأة اتصال من القبطان يبلغه فيه أنه خاف من متابعة الطريق إلى بيروت فحول وجهه ابحاره إلى اليونان بانتظار أن يتمكن من الاتصال ببيروت، ورسا بالباخرة في أحد المرافئ اليونانية تحت ستار الحاجة إلى المؤونة والوقود وبعض أعمال الصيانة.

رد النائب طوق على القبطان طالباً منه البقاء مكانه بانتظار أن يصل أحد إليه، وعلى الفور تم اطلاع الرئيس فرنجية والرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل والأباضي شربل قسيس على الاتصال، وتقرر أن يسافر النائب طوق والسيد جو عريضة وراهب لبناني إلى اليونان يراقبهم بعض المسؤولين العسكريين للجتماع بالقطبان ودرس الخطوات التالية. وقبل الانطلاق تم وضع خطة تقضي بتغيير ألوان الباخرة وعلمتها وخط سيرها للوصول إلى شاطئ جونيه.

من مرأة جونيه انطلق قارب سريع باتجاه قبرص وعلى متنه المسافرين إلى اليونان، ومن لارنكا ركوا الطائرة إلى اليونان التي وصلوها خلال ساعات، وبعد اجتماع مطول مع القبطان لم يخل من صعوبات اتفق خلاله على خطة سير الباخرة، ونزل القبطان والبحارة أكرامية جديدة، عاد المسافرون إلى قبرص ومنها إلى جونيه.

على ضوء الخطة التي اتفق عليها، عمد القبطان إلى تغيير لون الباخرة وأسمها وجنسيتها في مدة لا تتجاوز الأسبوع، كان خلالها المتربيون شرّاً بالباخرة ما زالوا يرددون الآفاق منتظرين اقترابها من الشاطئ اللبناني، وكانت برقياتهم يلقطها جهاز التنصت في الشعبة الثانية، ولكن بعد مرور وقت على انتظارهم وصول الباخرة الموعودة دون ظهور أي أثر لها، يبدو أن الفلسطينيين سئموا المراقبة، معتقدين أن كل القصة أكذوبة مركبة المقصود منها الإلهاء عن عملية أخرى في مكان آخر.

لم تكمل ٢٤ ساعة على التقاط جهاز التنصت في الشعبة الثانية البرقية الفلسطينية بفك المراقبة، حتى تلقى النائب جبران طوق برقية من قبطان الباخرة يعلمها أنه أصبح مقابل شواطئ جبيل وهو يقترب من الساحل، لكنه سيفقى على مسافة من الشاطئ لأن حجم الباخرة يمنعه من الاقتراب.

على الفور تم إبلاغ أعضاء اللجنة، ومع غروب الخميس ٣١ تشرين الأول ١٩٧٥ شاهد بعض مقاتلي نمور الأحرار المتواجدون على سطح الرابية مارينا في الصفرا الباخرة تقترب من الشاطئ فتم اعلام الرئيس شمعون، وسرعان ما وصل الشيخ بشير الجميل وDani Shmuoen وأعضاء اللجنة مع عدد من المسؤولين العسكريين.

فيما الليل بدأ ينشر سواده، راحت الزوارق الصغيرة تنطلق من موانئ بلدات: طبرجا والصفرا والعقيبة والبوار ومعاملتين باتجاه الباخرة وعلى متنها عناصر من أحزاب الجبهة اللبنانية، وسرعان ما بدأ افراج الباخرة ونقل الصناديق إلى الزوارق التي حملتها إلى الموانئ التي انطلقت منها، وبدأ تحميلاً في الشاحنات التي انطلقت إلى الأديرة والمخازن.

صباح الجمعة ١ تشرين الثاني تسارعت وتيرة العمل، وتم استقدام عشرات الشبان والمقاتلين، وراحت الشاحنات المحملة بالأسلحة والذخائر تغادر الموانئ إلى القرى والبلدات والمراکز العسكرية.

يتذكر أحد المسؤولين العسكريين أن أولى الشاحنات التي انطلقت يومها كانت وجهتها دير الأحمر، خاصة وكان هناك تخوف من أن تقطع طريق الأرز - عينات بسبب تراكم الثلوج، فكان إصرار من القيادات البشراوية لتأمين السلاح والذخائر لدير الأحمر في أسرع وقت.

تبعد شاحنة أخرى وجهتها جزين، وخوفاً من وقوعها في أيدي القوات الفلسطينية في محيط مدينة صيدا سلكت الشاحنة طريق ترشيش - زحلة - صغيرين، ومن البقاع الغربي دخلت إلى جزين. وكانت معظم الشاحنات، خاصة المتوجهة إلى القرى الواقعة في الأطراف تنطلق بحماية غير منظورة من قبل دوريات لشباب أحزاب الجبهة اللبنانية كانت تستكشف وتؤمن لها الطريق.

لدى المسؤولين العسكريين الذين كانوا يومها متواجدين عند مرفأ الأكواamarينا والموانئ المجاورة كم هائل من الأخبار والروايات حول ظروف تحويل الشاحنات وتوجيهها إلى القرى والأديرة.

يتذكر مسؤول عسكري سابق أنه لم يكن هناك مشكلة في توجيه الشاحنات إلى الأديرة الواقعة في الأقضية المسيحية، لكن المشكلة كانت عند إرسال الشاحنات إلى الأطراف، خاصة في ظل الخطر الشديد من أن تقع في أيدي المنظمات الفلسطينية، وقد غامر العديد من السائقين بقيادة شاحناتهم وعبورهم المناطق التي يسيطر عليها الفلسطينيون خاصة طرابلس ومخيّمات الشمال، واتبع السائقون يومها بمعونة أدلة محليين طرقاً جانبية يعرفونها جيداً تمر بمعظمها في قرى مسيحية.

مرت خمسة أيام وعملية التفريغ لا تتوقف ليلاً نهاراً، وكان يتم تبديل الشبان والمقاتلين دون أن يتوقف العمل لحظة واحدة، لكن مع الوقت ظهر أن عملية التفريغ بواسطة الزوارق واللانشات الصغيرة عملية بطيئة جداً وغالية في الصعوبة، فطوال خمسة أيام من العمل المضني لم يكن تم تفريغ ربع الحمولة، إضافة إلى أن العمل كان محفوفاً بالمخاطر ليس أقلها حال البحر الهائج، الذي قد يوقع الصناديق من على ظهر المراكب الصغيرة.

صباح ٤ تشرين الثاني، تقرر أن يتم احضار باخرة أصغر تستطيع الدخول بسهولة إلى خليج مرفأ الأكواamarينا، بحيث يتم نقل الصناديق من الباخرة الرئيسية إليها ومن ثم تنقلها إلى الشاطئ، وتتكلّل الشيخ بشير الجميل بتأمين الباخرة، وغرّوب ذلك النهار كانت الباخرة المطلوبة تقف بمحاذات باخرة الأسلحة والرافعات تنقل الصناديق إليها، ومع تبشير صباح ٥ تشرين الثاني كانت الباخرة الصغيرة تقدم إلى داخل مرفأ الأكواamarينا، وخوفاً من أية مضايقات تقرر ترسيب العمل قدر المستطاع فتم احضار مئات المقاتلين، كما أحضر جميع الشبان الذين كانوا يتدرّبون في مخيم ريفون التابع للواء الجبل (بقيادة هنري صفير)، إضافة إلى عشرات الشبان الذين نزلوا من بيري، ووصل الثنائيين طوني فرنجية والأب سمعان الدويهي مع مجموعات من الشبان الزغرتاويين، وببدأ الجميع أوسع عملية تفريغ، وكانوا يسابقون الوقت والرافعات لا تتوقف ثانية عن العمل، فيما الشاحنات المحملة تطلق بحماية المقاتلين ووجهتها الأديرة ومخازن الأسلحة خاصة في الجبال.

ليلاً تم افراغ الباخرة وعادت لتقف قرب باخرة الأسلحة لتنقل ما تبقى من صناديق أسلحة وذخائر واستمرت عملية نقل الصناديق حتى ساعات الفجر الأولى، عندما عادت الباخرة الصغيرة إلى داخل مرفأ الأكواamarينا لتبدأ عملية إفراغ الصناديق في الشاحنات.

لم تك تمرّ ساعات قليلة من صباح ٦ من تشرين الثاني، حتى قام رئيس الحكومة بفضح قصة الباخرة وقادت القيامة. هنا دبّ الخوف في صفوف المسؤولين عن عملية التفريغ لأنهم كانوا ما زالوا بحاجة أفله لثلاثة أيام عمل متواصلة ليلاً نهاراً لإتمام عملية التفريغ، لكن الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل أرسلوا أوامر واضحة باستمرار عمليات التفريغ مهما كانت النتائج.

في بيروت، وصف رئيس الحكومة رشيد كرامي الوضع بالخطير جداً، معتبراً أن قضية الباخرة الراسية قبلة شاطئ جونية خطيرة جداً، وأنه تبلغ منذ مساء البارحة بقصة الباخرة وقضي الليل ساهراً يحاول معالجة الوضع وقد أصدر أوامره بصفته وزير الدفاع لسلاح البحرية اللبنانية لاحتياز الباخرة، لكن صباحاً اكتشف أن أوامره لم تنفذ، فلم تتحرك أي قطعة بحرية حربية من قاعدة جونيه البحرية والعمل ما يزال قائماً في مرفأ المعاملتين، وأضاف أنه متوجه إلى قصر بعبدا للاجتماع بالرئيس فرنجية.

الساعة التاسعة صباحاً، وصل الرئيس كرامي إلى قصر بعبدا، والنقي رئيس فرنجية بحضور الوزير فيليب تيلا لأكثر من ساعة ونصف، خرج ليدي بتصريح لم تبثه الإذاعة اللبنانية ولا تلفزيون لبنان، أبرز فيه بعض جوانب ما أسماه أزمة الباخرة، التي ما تزال تفرغ السلاح على مرأى وسمع من الجيش الذي يعجز عن القيام بما يفرضه الواقع،

متهمًا الأميرال فارس لحود قائد سلاح البحرية في الجيش اللبناني بتغطية ما يجري في خليج جونيه القريب من مقر قيادته، وأشار إلى موقف قد يتخذه. وفسر البعض هذا الموقف بأنه اتجاه نحو الاستقالة. وغادر إلى السراي الحكومي.

لاقى موقف رئيس الحكومة، كل من الرئيس صائب سلام الذي أدى بتصريح هاجم فيه تفريغ الأسلحة في جونيه، رافضاً القول أن هذا السلاح لحماية المسيحيين، وطالب بموقف واضح من الحكومة. فيما اتخاذ الزعيم كمال جنبلاط موقفاً متراجعاً رافضاً عصيان أوامر رئيس الحكومة الذي هو في الوقت نفسه وزير الدفاع من قبل قائد الجيش العmad حنا سعيد الذي اتهمه بأنه يتلقى الأوامر من الرئيس كميل شمعون خلافاً للأصول، كما اتهم رئيس الجمهورية وفريقه من الضباط المسيحيين بالتواطؤ مع الميليشيات المسيحية لتسهيل إمرار الأسلحة إليها.

أما الرئيس كرامي، وفور وصوله إلى القصر الحكومي أجرى عدة اتصالات شملت مفتى الجمهورية الشيخ حسن خالد والامام موسى الصدر والرئيس صائب سلام والرئيس عبد الله اليافي والزعيم كمال جنبلاط، واتفق معهم على عقد قمة إسلامية في مقر المفتى في عرمون.

في القصر الجمهوري في بعبدا، وفور مغادرة الرئيس كرامي غاضباً وصل رئيس الشعبة الثانية في الجيش اللبناني العقيد جول البستاني يرافقه الأميرال فارس لحود وبعض الضباط والتقوا الرئيس فرنجية شارحين الوضع

يتذكر أحد المشاركون في الاجتماع أن أول سؤال سأله الرئيس فرنجية كان حول كمية السلاح الذي تم تفريغه حتى الساعة والوقت المتبقى لإنتهاء عمليات التفريغ، فردّ الأميرال لحود أن العمل ما يزال قائماً وحتى الساعة تم إنزال نحو ثلثي الكمية وما زال العمال بحاجة أفله لثلاثة أيام عمل متواصلة لإنتهاء التفريغ.

ثم عرض رئيس الشعبة الثانية للوضع السياسي المستجد بعد تصاريح الرئيس كرامي والرئيس سلام والزعيم كمال جنبلاط مقتراحاً مصادرة الباقية من قبل الجيش اللبناني، ومن ثم تعمد الشعبة الثانية لتسليم ميليشيات الجبهة اللبنانية الأسلحة المصدرة بعد انحسار التشنّج السياسي.

استمع الرئيس فرنجية لطرح العقيد جول البستاني دون أن يعلق، ثم طلب من الضباط الاجتماع بالرئيس كميل شمعون في مكتبه المجاور، وبحسب العقيد جول البستاني فإن رئيس الجمهورية أعطى موافقته على الاقتراح، فيما يشير أحد الضباط الذين شاركوا في الاجتماع أن رئيس الجمهورية لم يوافق تماماً وأن أوحى أنه لا يمانع بهذا الحل إن كان يجتب البلاد مشكلة جديدة.

بعد خروجه من المكتب الرئاسي قصد العقيد جول البستاني ومن معه وزير الداخلية الرئيس كميل شمعون الذي كان اتخذ مكتباً له في القصر الجمهوري، قريباً من مكتب الرئيس بسبب تعذر انتقاله إلى وزارته، وعرض عليه الاقتراح بحضور الشيخ بطرس الخوري وجورج أبو عضل.

لوهلة أبدى رئيس الجمهورية السابق تجاوباً بعدما أصغى إلى الحجج التي ساقها رئيس الاستخبارات اللبنانية، ولا سيما منها ضرورة عدم احراج رئيس الحكومة ودفعه إلى الاستقالة بعدما كان لوح بها. وأكّد العقيد بستاني للرئيس شمعون أن الشعبة الثانية ستعيد شحنة الأسلحة المصدرة إلى أصحابها ما دامت هي من تزودهم أسلحة في بعض الأحيان من مخازنها.